**الأسرة السعودية بعد نهاية الدول السعودية الثانية**

بعد هزيمة أهل القصيم أمام قوات أمير حائل محمد بن عبد الله بن رشيد في معركة المليداء عام 1308هـ أدرك الإمام عبد الرحمن بن فيصل ضعف موقفه، فغادر الرياض حاملاً معه ما أمكنه حمله من ممتلكاته وأخذ معه أسرته باحثاً عن مأوى. اتجه في البداية إلى المناطق الواقعة على حدود الأحساء لبعدها عن سلطة ابن رشيد، حيث استقر لمدة قصيرة بين قبائل العجمان وآل مرة، ولكن الإمام عبد الرحمن لم يلبث إلا أن أدرك أن حياة الصحراء ليست مناسبة لأسرته، فقرر إرسالها إلى البحرين.

في هذه الأثناء وصل إبراهيم بن مهنا أبا الخيل -أخي حسن بن مهنا أمير بريدة الذي أُسر في المليداء- إلى مكان إقامة الإمام عبد الرحمن، فرأى فيه الإمام عبد الرحمن دافعاً لاستئناف النشاط ضد ابن رشيد. جمع الاثنين قواتهما وتوجها للقاء ابن رشيد، ولكنهما منيا بالهزيمة مجدداً في معركة حريملاء عام 1309هـ، فتبددت جميع آمال الإمام عبد الرحمن وعلم أنه ليس بمقدوره مجابهة الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد.

تذكر بعض المصادر أن المتصرف العثماني في الأحساء اجتمع بالإمام عبد الرحمن بعد الهزيمة في حريملاء وعرض عليه إعادته أميراً على الرياض مقابل أن يعترف بسيادة الدولة العثمانية، ولكن الإمام رفض معللاً ذلك بخشيته من أن ينقلب عليه أنصاره. أما الدولة العثمانية فكان من صالحها أن يوافق الإمام عبد الرحمن أن يصبح تابعاً لها لأنها تضمن بذلك تبعية منطقة نجد خاصةً وأن آل رشيد حكام حائل كانوا تابعين للدولة العثمانية، كما تضمن أيضاً عدم توجه الإمام عبد الرحمن لطلب المساعدة من الخطر الأكبر الذي يتهدد الوجود العثماني في المنطقة المتمثل في بريطانيا.

على كل حال، قرر الإمام عبد الرحمن التوجه إلى الكويت بعد أن يأس تماماً من قدرته على استعادة حكم الرياض. ورغم أنه لا يبدو أنه كان هناك أسباب واضحة لاختياره الكويت، إلا أنه من المرجح أن سبب اختياره لها يعود لكونها من أقوى الإمارات القريبة التي قد يشعر بالأمان فيها من نفوذ ابن رشيد، إضافة لكونها مقراً للكثير من النجديين الذي توجهوا إليها لأغراض تجارية أو لأسباب سياسية، خاصةً أهل القصيم الذين كانوا حلفاءً للإمام عبد الرحمن وأعداءً لابن رشيد. وبالتالي فإن استقرار الإمام عبد الرحمن بالكويت سيمكنه من الاتصال بالمناوئين لابن رشيد من أهل نجد، كما أنه سيتمكن من معرفة أخبار نجد باستمرار لكثرة التجار الذين يترددون بين الكويت ونجد. ولكن حاكم الكويت لم يسمح للإمام عبد الرحمن بالقدوم إلى الكويت، وربما كان ذلك بإيعاز من العثمانيين لأن الكويت كانت تابعة لهم أثناء حكم الأمير محمد بن صباح. فتوجه الإمام عبد الرحمن إلى قطر، ومكث فيها لمدة شهرين، وبعد أن سمح له حاكم الكويت بالقدوم توجه إلى هناك. وربما أن الدولة العثمانية أرادت أن تضمن بقاءه في الكويت وعدم معاودته النشاط العسكري في نجد، فقررت أن تدفع له مرتباً شهرياً ما دام مقيماً بالكويت.

وفي عام 1313هـ وثب مبارك بن صباح على أخويه الأمير محمد وجراح وقتلهما وتولى حكم البلاد. فبذل يوسف بن إبراهيم -خال أولاد محمد بن صباح- جهوداً حثيثة للثأر من مبارك بن صباح، فاستعدى السلطات العثمانية، والإيرانيين، وأمير قطر قاسم بن ثاني، وأمير حائل محمد بن رشيد على مبارك بن صباح، ولكن جميع هذه الجهود لم تثمر. وبعد وفاة محمد بن رشيد عام 1315هـ وتولي ابن أخيه عبد العزيز بن متعب بن رشيد إمارة حائل تجددت آمال يوسف بن إبراهيم للنيل من مبارك بن صباح، فوافق ذلك رغبة في نفس عبد العزيز بن رشيد. بدأ أمير حائل فعلاً بالتحركات العسكرية في المناطق القريبة من الكويت، فشعر مبارك بخطورة الوضع، فدفعه ذلك الوضع إلى توقيع معاهدة حماية مع بريطانيا. كما أنه إضافة إلى الحماية البريطانية اتبع أسلوب الإلهاء مع ابن رشيد، فأجبر الزعماء النجديين المقيمين في الكويت -كالإمام عبد الرحمن حاكم الرياض وآل مهنا حكام بريدة وآل سليم حكام- بالتحرك ضد ابن رشيد وزودهم بالمال والسلاح لينشغل ابن رشيد بنجد عن الكويت. وفي نفس الوقت أرسل مبارك رسالة إلى ابن رشيد يخبره فيها أنه طرد الزعماء النجديين من الكويت وأنه يرغب بتحسين علاقاته معه. قبل أن يصل رسول مبارك إلى ابن رشيد وصل الأخير خبر تجهيز مبارك الزعماء النجديين وخروجهم من الكويت. فلما وصل إليه رسول مبارك، علم أن أمير الكويت قد احتال على زعماء نجد وأنه يريد أن يحتال عليه هو أيضاً، فاستشاط غضباً وتوعد رسول ابن صباح بأنه سيهاجم الكويت. فأسقط في يد مبارك ولم يجد بداً من إرسال رسالة إلى الزعماء النجديين يطلب منهم العودة إلى الكويت.

فلما كان في عام 1318هـ، حشد مبارك الصباح قواته لغزو ابن رشيد وقد انظمت إليه قبائل المنتفق والعجمان ومطير وآل مرة والعوازم، إضافةً إلى زعماء نجد كحكام بريدة وعنيزة والإمام عبد الرحمن الذي أخذ معه ابنيه عبد العزيز ومحمد. فلما وصل الجيش إلى نجد أخذ عبد العزيز بن عبد الرحمن فرقة صغيرة وتوجه إلى الرياض. ولأن معظم سور الرياض قد هدمه محمد بن رشيد فقد استطاع عبد العزيز أن يسيطر على البلد بسهولة، خاصةً وأن معظم السكان يفضلون آل سعود على آل رشيد. أما أمير الرياض من قبل ابن رشيد عبد الرحمن بن ضبعان فقد اعتصم بقصر المصمك ولم يستطع ابن سعود اقتحامه.

وحين وصل جيش مبارك الصباح إلى القصيم، توجه آل مهنا إلى بريدة وآل سليم إلى عنيزة دون صعوبة تذكر، والسبب هو نفسه الذي سهّل دخول ابن سعود إلى الرياض، وهو أن سكان هذه البلدان لا يزالون يشعرون بالولاء لحكامهم، ويكنون البغض لعبد العزيز بن متعب بن رشيد لشيوع الظلم في عهده.

لما علم ابن رشيد بوصول جيش ابن صباح إلى القصيم توجه مباشرةً إليه، فالتقى الجيشان في روضة الصريف التي تقع إلى الشرق من بلدة الطرفية. ورغم أن جيش مبارك كان يفوق جيش ابن رشيد كثيراً في العدد والعدة إلا أن ابن رشيد انتصر عليه انتصاراً ساحقاً، بل إنه تتبع فلول المنهزمين حتى كاد أن يبيدهم. هرب ابن صباح إلى الكويت، وتبعه الإمام عبد الرحمن، وكذلك فعل حكام بريدة وعنيزة، كما انسحب ابن سعود أيضاً من الرياض حين علم بهزيمة الجيش في الصريف ولحق بالجميع في الكويت.

المراجع:

عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج2، ص29-41.